© 2026 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

أوصافُ العذاب في القرآن الكريم: قراءةٌ وصفيّة تحليليّة لوظائفها البلاغيّة والتربويّة(*)

سامر ناجح عبد الله سمارة [1]، بسام مصباح الأغبر [2]

Depictions of Divine Punishment in the Qurʾān: A Descriptive-Analytical Study of Their Rhetorical and Pedagogical Functions

Samer Najeh Abdullah Samarah, Bassam Misbah Al-Aghbar

ABSTRACT

This study examines the descriptions of punishment (ʿadhāb) in the Qur'an as a semantic and rhetorical structure with educational and ethical functions rather than as mere language of intimidation. It addresses a scholarly problem arising from reductive readings that confine Qur'anic punishment to fear appeal while overlooking its role in shaping moral consciousness, linking human actions to their consequences, and establishing the principle of just retribution. The study employs a comprehensive inductive survey of all Qur'anic occurrences of the root (ʿ-dh-b), amounting to 349 instances, followed by a descriptive-analytical method that classifies these instances into major semantic fields and interprets them through authoritative exegetical and lexical sources. The findings show that the discourse of punishment is organized around interconnected fields, most notably intensity, rhetorical magnification, fiery embodiment, humiliation, sensory experience and intensification, perpetuity, and temporal certainty. These fields operate together to produce a coherent Qur'anic pedagogy that combines sensory warning, psychological restraint, and ethical formation. The study further demonstrates that the descriptions of punishment are context-sensitive and function within the broader Qur'anic logic of justice, accountability,

(*) This article was submitted on: 16/04/2026 and accepted for publication on: 24/04/2026.

1 **Corresponding Author**, Senior Lecturer, Faculty of Quranic and Sunnah Studies, University Sains Islam Malaysia. ORCID: https://orcid.org/0000-0001-9735-4363 Email: samernajeh@university.edu.my

2 Lecturer at An-Najah National University, West Bank, Palestine. Email: bassamaghbar@gmail.com

repentance, and moral reform. It concludes that Qur'anic punishment discourse constitutes an integrated value-based pedagogical system that reinforces divine justice and directs human beings toward upright conduct before the closure of moral choice.

Keywords: *Qur'anic Punishment, Qur'anic Pedagogy, Islamic Values, Thematic Exegesis, Qur'anic Rhetoric*.

ملخص

تعالج هذه الدراسة أوصافَ العذاب في القرآن الكريم بوصفها بنيةً دلاليةً وبلاغيةً ذات وظيفة تربوية وقيمية، لا مجرد خطاب تهويل وتخويف. وتنطلق من إشكالية علمية تتمثل في شيوع قراءة جزئية تحصر ذكر العذاب في بعده الزجري المباشر، مع إغفال ما ينطوي عليه من بناء للضمير الأخلاقي، وربطٍ محكم بين الأفعال ومآلاتها، وإبرازٍ لسننية الجزاء وعدالته. واعتمدت الدراسة مسحًا استقرائيًّا شاملًا لجميع المواضع التي ورد فيها جذر (ع–ذ–ب) في القرآن الكريم، والبالغة (349) موضعًا، ثم وظفت المنهج الوصفي التحليلي في تصنيف هذه المواضع ضمن حقول دلالية رئيسة، مع الرجوع إلى عدد من المصادر التفسيرية واللغوية المعتمدة في تحليل السياقات وتقويم الدلالات. وقد أظهرت النتائج أن أوصاف العذاب تتوزع على حقول متساندة، أبرزها: الشدة، والتهويل، والتجسيد الناري، والإذلال، والتضعيف والخبرة الحسية، والدوام، والزمن/الحتمية، بما يكشف عن بناء قرآني متكامل يزاوج بين الإيلام الحسي، والزجر النفسي، والتربية على المسؤولية. كما بينت الدراسة أن هذه الأوصاف لا تعمل بمعزل عن سياقاتها، بل تتفاعل مع المقام والسياق لتقرير عدالة الجزاء، وتحفيز التوبة، وإعادة تشكيل الوعي الأخلاقي لدى المتلقي. وتخلص الدراسة إلى أن خطاب العذاب في القرآن الكريم جزء من هندسة قيمية تربوية واعية، تسهم في ترسيخ مفهوم العدل الإلهي وتوجيه الإنسان إلى الاستقامة قبل فوات الأوان.

كلمات دالة : العذاب في القرآن، التربية القرآنية، القيم الإسلامية، التفسير الموضوعي، البلاغة القرآنية.

1. المقدمة والخلفية العامة للدراسة

يُعدّ القرآن الكريم المصدرَ الأساسيَّ للتشريع والتوجيه في الإسلام، وهو كتابٌ جامع يتناول البناء العقدي والأخلاقي والتربوي للإنسان من خلال خطاب متوازن يجمع بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب. ومن بين المفاهيم القرآنية المركزية التي تستدعي مزيدًا من التحليل مفهومُ العذاب؛ لأن حضوره المتكرر في السور والآيات لا يقتصر على التخويف المجرد، بل يكشف عن شبكة دلالية مركبة تتصل بالعدل الإلهي، وبسننية الجزاء، وبتهذيب السلوك الإنساني. ومن ثمّ فإن قراءة أوصاف العذاب في ضوء سياقاتها البلاغية والتفسيرية تتيح فهمًا أعمق لوظيفتها في تشكيل الوعي الأخلاقي، وتصحيح التصورات المختزلة التي تنظر إلى الوعيد بوصفه خطابًا انفعاليًّا منفصلًا عن مقاصد الهداية والإصلاح.

تتمحور إشكالية الدراسة في شيوع فهمٍ محدود قد يحصر دلالات أوصاف العذاب في القرآن الكريم في التهويل والتخويف فقط، مع إغفال ما تؤديه من وظائف تربوية وقيمية وبلاغية أعمق. ويظهر هذا القصور عندما تُقرأ ألفاظ العذاب بوصفها نهاية خطابية منفصلة عن بنية السورة، أو عن العلاقة بين الذنب والمآل، أو عن دور الوعيد في بناء الضمير المسؤول. ومن هنا يسعى البحث إلى إعادة تقويم هذا المفهوم عبر قراءة وصفية تحليلية شاملة تكشف عن كيفية عمل خطاب العذاب داخل النظام الأخلاقي القرآني بوصفه خطابًا للردع، والإنذار، والتقويم، وإقامة الحجة.

تتمثل أهداف الدراسة في استقراء أوصاف العذاب في القرآن الكريم وتحليلها كما وردت في صيغٍ نعتيّة، وإضافيّة، وزمانيّة، وصيغٍ تقرّر الحتميّة والقرب، مع الوقوف على نماذج تعبّر عن دوام الأثر والتضعيف وتجلّيات الخبرة الحسيّة. كما تسعى الدراسة

إلى الكشف عن الأبعاد التربوية والقيمية الكامنة وراء هذه الأوصاف، وبيان إسهامها في تشكيل الضمير الإنساني من خلال الربط بين العلّة والمآل. وتهدف كذلك إلى تحليل العلاقة بين الأفعال الإنسانية والمآل العقابي في المنظور القرآني؛ تأكيدًا لسننية الجزاء وعدالته ووظيفته التربوية.

وانطلاقًا من هذه الأهداف، ينتظم البحث حول الأسئلة الآتية: ما الحقول الدلالية الرئيسة التي تتشكّل منها أوصاف العذاب في القرآن الكريم؟ وكيف يسهم السياق البلاغي والتفسيري في بيان الوظائف التربوية والقيمية لهذه الأوصاف؟ وكيف تكشف أوصاف العذاب عن سننية الجزاء والعدل الإلهي وعلاقتها بتشكيل الضمير الإنساني؟

وتبرز أهمية هذه الدراسة في ثلاثة مستويات مترابطة: المستوى العلمي؛ من حيث إنها تسدّ فجوة في الدراسات التي تجمع بين الاستقراء الشامل لأوصاف العذاب وتحليلها في ضوء الوظائف البلاغية والتربوية معًا، والمستوى التفسيري؛ من حيث إنها تعيد وصل ألفاظ الوعيد بسياقاتها ومقاصدها، والمستوى التربوي؛ من حيث إنها تبرز كيف يشتغل الخطاب القرآني في بناء المسؤولية الأخلاقية، وتحفيز التوبة، وتقويم السلوك الفردي والجماعي.

وتتحدد حدود هذه الدراسة في المواضع القرآنية التي ورد فيها جذر (ع–ذ–ب) ومشتقاته، دون أن تستوعب جميع ألفاظ العقوبة أو الوعيد غير الداخلة تحت هذا الجذر. كما يركّز التحليل على الوظائف البلاغية والتربوية لهذه الأوصاف، دون التوسع في جميع الفروع العقدية والفقهية المتصلة بأحكام الجزاء. وتستند الدراسة في تفسير الشواهد إلى عدد من المصادر التفسيرية واللغوية المعتمدة، مع اعتماد مبدأ الدلالة الغالبة عند تصنيف المواضع ضمن الحقول الثمانية، بما يعني إمكان تداخل بعض الحقول من جهة المعنى وإن غلب أحدها في السياق.

2. الدراسات السابقة

على الرغم من عناية عدد من الدراسات السابقة بموضوع العذاب في القرآن الكريم من زوايا لغوية وبلاغية وتربوية متفرقة، إلا أن المكتبة القرآنية لا تزال تفتقر إلى دراسة تجمع بين الاستقراء الشامل لأوصاف العذاب، وتصنيفها الدلالي، وتحليل وظائفها البلاغية والتربوية في ضوء منطق العدل الإلهي وسننية الجزاء، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى سدّ ثغرته. ومن هذه الدراسات هي:

سالم (2024): دقة تنويع السياق القرآني لآيات وصف العذاب في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، منشور في حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 28، الجزء 2، الصفحات 2257–2314. اتجهت هذه الدراسة إلى بيان دقة تنويع السياق القرآني في آيات وصف العذاب، والكشف عن أسراره البلاغية، مع التركيز على موقع اللفظة القرآنية داخل السياق المتكامل. وقد أفادت في إبراز ثراء التصوير القرآني وتنوّع الأوصاف البلاغية للعذاب، غير أنها لم تبنِ قراءة شاملة تجمع بين الحقول الدلالية والوظائف التربوية والقيمية لهذه الأوصاف في إطار واحد.

ناصر (2023): تسوية المجازاة بين الوعد والوعيد في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ديالى. عالجت هذه الدراسة قضية المجازاة بين الوعد والوعيد، من خلال النظر إلى الثواب والعقاب بوصفهما وسيلتين من وسائل التربية القرآنية الهادفة إلى تحقيق التوازن المادي والروحي وصيانة المجتمع من الانحراف. وتفيد هذه الدراسة في إبراز البعد التربوي العام لفكرة الثواب والعقاب، غير أنها لم تخصّ أوصاف العذاب نفسها باستقراء مستقل، ولم تفكك أنماطها التعبيرية وسياقاتها البلاغية في ضوء الحقول الدلالية لأوصاف العذاب.

اللهيبي (2019): ألفاظ العقاب الدنيوي في القرآن الكريم: دراسة دلالية، الدار العربية للموسوعات، بيروت. خصصت هذه الدراسة عنايتها لألفاظ العقاب الدنيوي في القرآن الكريم، ودرست الجذر ‘‘عقب’’ ومرادفاته ومتوارِداته، مع بيان ألفاظ

الحدود والعقوبات الشرعية والعقاب الدنيوي الحسي والمعنوي. وتفيد هذه الدراسة في توسيع النظر إلى الألفاظ المتصلة بالعقاب، غير أن موضوعها محصور في العقاب الدنيوي، بينما تتجه الدراسة الحالية إلى أوصاف العذاب في القرآن الكريم من خلال جذر (ع–ذ–ب) ومشتقاته، وتحليل أبعاده البلاغية والتربوية ضمن سننية الجزاء وعدالته.

راشد (2015): نعوت العذاب في القرآن الكريم: دراسة دلالية، منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط. تناولت هذه الدراسة نعوت العذاب في القرآن الكريم من جهة دلالتها وسياقات ورودها، وسعت إلى الكشف عن الدرر البلاغية والدلالية المتولدة من كون الألفاظ نعوتًا للعذاب. وتعد هذه الدراسة قريبة من موضوع البحث الحالي؛ لأنها تتصل مباشرة بأوصاف العذاب، غير أن عنايتها تركزت في النعوت من حيث دلالتها البلاغية والسياقية، ولم تتسع لبناء تصنيف شامل للحقول الدلالية المتعددة لأوصاف العذاب، ولا لربطها ربطًا منهجيًا بالوظيفة التربوية والقيمية للخطاب القرآني.

عبد العال (2014): لفظ العذاب ومشتقاته في القرآن الكريم: دراسة لغوية، الجامعة الإسلامية بغزة، بإشراف فوزي إبراهيم أبو فياض. عالجت هذه الدراسة لفظ العذاب ومشتقاته في القرآن الكريم معالجة لغوية في مستويات اللغة المختلفة، مع تمهيد يتناول الألفاظ الدالة على العذاب، وخطاب القرآن وألفاظه ولغته. وتفيد هذه الدراسة في ضبط المادة اللغوية المتصلة بجذر العذاب ومشتقاته، إلا أن مجالها ظلّ لغويًا في جوهره، ولم يجعل الوظيفة البلاغية والتربوية لأوصاف العذاب محورًا تحليليًا مستقلًا.

وتتميّز هذا الدراسة عن الدراسات السابقة من جهتين رئيسيتين: الأولى أنه لا يكتفي بمعالجة ألفاظ العذاب بوصفها مادة لغوية أو بلاغية مستقلة، بل يقرأها ضمن بنية خطابية ذات وظيفة تربوية وقيمية؛ والثانية أنه يعيد تنظيم أوصاف العذاب في حقول دلالية وظيفية تكشف عن منطق الخطاب القرآني في الإنذار، والتقويم، وبناء المسؤولية الأخلاقية، والربط بين العلة والمآل. وبذلك يتجاوز البحث حدود الرصد اللفظي أو التحليل البلاغي المفرد إلى بناء إطار تكاملي يبرز كيف تتحول أوصاف العذاب في القرآن الكريم من مجرد مشاهد وعيد إلى منظومة تربوية تسهم في تشكيل الوعي، وإيقاظ الضمير، وترسيخ معنى العدل الإلهي في النفس الإنسانية.

3. منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة المنهج التكاملي الذي يجمع بين الاستقراء والوصف والتحليل والتقويم، وذلك لاستيعاب أوصاف العذاب في القرآن الكريم، وتصنيفها دلاليًا، وبيان وظائفها البلاغية والتربوية في ضوء السياق القرآني ومقاصد الخطاب. وتتوزع المسارات المنهجية المتبعة في البحث على النحو الآتي:

المنهج الاستقرائي: يُستخدم هذا المنهج في تتبع جميع المواضع القرآنية التي ورد فيها جذر (ع–ذ–ب) ومشتقاته في القرآن الكريم، وقد بلغ مجموعها (349) موضعًا. ويهدف الاستقراء هنا إلى حصر المادة القرآنية ذات الصلة حصرًا شاملًا، لا الاكتفاء بنماذج منتقاة، وذلك لضمان اكتمال المادة العلمية، وسلامة البناء التصنيفي، ووضوح الصورة الدلالية العامة. كما يُسهم هذا المنهج في رصد الصيغ التي وردت فيها أوصاف العذاب، سواء جاءت في صيغ نعتيّة، أو إضافيّة، أو زمانيّة، أو في صيغ دالة على الحتميّة والقرب، أو في تراكيب تعبّر عن دوام الأثر، والتضعيف، وتجلّيات الخبرة الحسيّة.

المنهج الوصفي: يُعتمد هذا المنهج في وصف المادة المستقرأة، وبيان خصائصها العامة، وتصوير توزّعها داخل الحقول الدلالية التي تنتظم فيها أوصاف العذاب في القرآن الكريم. وتتمثل وظيفة هذا المنهج في عرض المواضع القرآنية ضمن ثمانية حقول رئيسة، هي: الشدة، والتهويل، والتجسيد الناري، والإذلال، والتضعيف والخبرة الحسية، والدوام، والزمن/الحتمية، وأوصاف أخرى متفرقة. ولا يقتصر الوصف هنا على الرصد العددي أو البيان الإحصائي، بل يتجاوزه إلى بيان السمات الدلالية والتعبيرية لكل حقل، وصلته بسياق الوعيد والإنذار والهداية في القرآن الكريم.

المنهج التحليلي: يُستخدم هذا المنهج في دراسة أوصاف العذاب في ضوء سياقها القرآني، من خلال النظر في السياق القريب للآية، والسياق العام للسورة، وما يتصل بذلك من مقاصد الخطاب ووجوه البيان. ويقوم التحليل على بيان العلاقة بين اللفظ ودلالته، وبين الوصف ومقامه، وبين صورة العذاب ووظيفتها البلاغية والتربوية. ولتحقيق ذلك ترجع الدراسة إلى كتب التفسير واللغة المعتمدة، مثل: تفسير الطبري، والكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وروح المعاني للألوسي، ومعالم التنزيل للبغوي، فضلًا عن المصادر اللغوية، مثل: مفردات الراغب الأصفهاني وكتب الزجاج. ويهدف هذا التحليل إلى الكشف عن دلالة الوصف القرآني، ووجه مناسبته للسياق، وأثره في تقرير سنن الجزاء، وإبراز عدل الله تعالى، والربط بين العمل الإنساني ومآله.

المنهج التصنيفي الدلالي: يُعتمد هذا المنهج في ترتيب المواضع القرآنية وتصنيفها ضمن الحقول الدلالية الثمانية بحسب الدلالة الغالبة في كل موضع. ولا يقوم التصنيف على المعنى المعجمي المجرد وحده، بل على مجموع القرائن اللغوية والسياقية والتفسيرية؛ لأن بعض أوصاف العذاب قد تجتمع فيها أكثر من دلالة. ومن ثمّ تعتمد الدراسة مبدأ الدلالة الغالبة في إلحاق الشاهد بالحقل المناسب، مع التنبه إلى إمكان التداخل بين بعض الحقول، وإيثار المعنى الأظهر الذي يدل عليه السياق وتؤيده أقوال المفسرين وأهل اللغة.

المنهج التقويمي الوظيفي: يُستخدم هذا المنهج في بيان الوظائف البلاغية والتربوية والقيمية لأوصاف العذاب في القرآن الكريم، والكشف عن أثرها في بناء الوعي الإيماني، وإيقاظ الضمير، وترسيخ المسؤولية الأخلاقية، والتحذير من عواقب الانحراف، والدعوة إلى التوبة وتصحيح السلوك. ولا تتعامل الدراسة مع أوصاف العذاب بوصفها ألفاظًا مفردة أو مشاهد وعيد معزولة، بل بوصفها جزءًا من خطاب قرآني هادٍ يربط بين السبب والنتيجة، وبين العمل والجزاء، ويؤكد أن العقوبة في القرآن الكريم جارية على مقتضى العدل الإلهي والسنن الربانية.

وبذلك تسير الدراسة وفق منهجية تكاملية تبدأ بالحصر الاستقرائي الشامل لمواضع جذر (ع–ذ–ب) ومشتقاته، ثم وصف المادة وتصنيفها دلاليًا، ثم تحليل الشواهد المختارة في ضوء السياق القرآني وأقوال المفسرين وأهل اللغة، وصولًا إلى بيان ما تؤديه أوصاف العذاب من وظائف بلاغية وتربوية في بناء الخطاب القرآني، وتوجيه الإنسان، وتقويم السلوك، وترسيخ معنى الجزاء العادل في التصور الإسلامي.

4. التحليل والمناقشة

كشف الاستقراء الشامل لمواضع العذاب في القرآن الكريم عن تنوع دلالي بارز يمكن تنظيمه في ثمانية حقول رئيسة. ويُظهر هذا التنوع أن خطاب العذاب لا يتحرك في مستوى لغوي واحد، بل يتوزع بين حقول ترسم درجات الإيلام، وصور التجسيد، وأنماط الدوام، وأبعاد الإذلال والحتمية الزمنية.

ويوضح الرسم البياني الآتي هذا التوزع الدلالي لأوصاف العذاب في القرآن الكريم

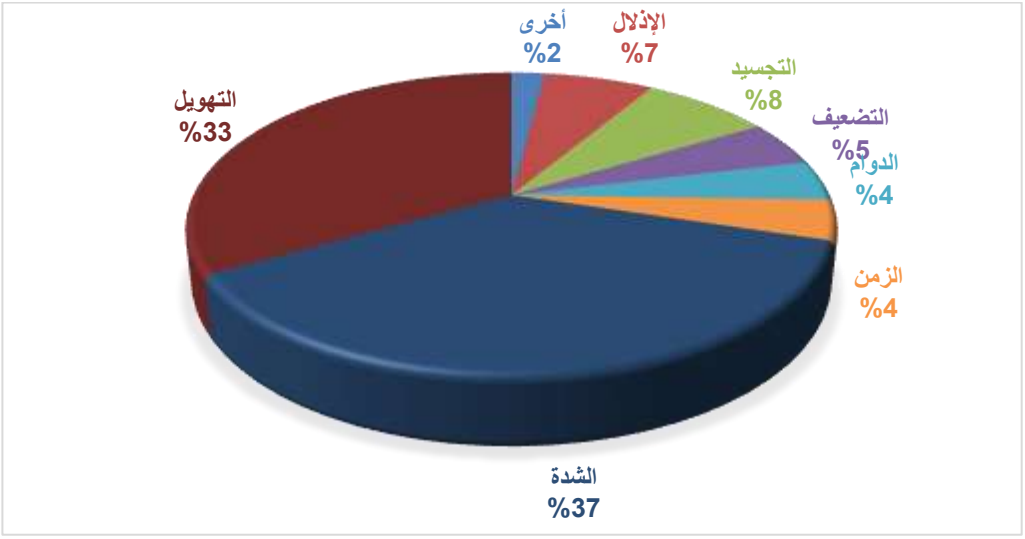

ويُظهر الرسم البياني المستخرج من استقراء الشواهد القرآنية المتعلقة بالعذاب تنوّعًا دلاليًّا واضحا، يتوزع على ثمانية حقول رئيسة، هي: الشدة، والنفسي، والتجسيد، والإذلال، والتضعيف، والدوام، والزمن، وحقول متفرّقة أخرى.

وتتفاوت هذه الحقول في نسبها المئوية تفاوتًا ملحوظًا، بما يدل على اختلاف موقع كل حقل في بناء التصور القرآني للعذاب، ويقتضي تحليلًا نوعيًّا يُبرز المقاصد البلاغية والتربوية الكامنة وراء هذا التنوع، ويكشف عن وظائفه في ترسيخ معنى الجزاء، وإبراز عدالة المآل، وبناء الوعي الأخلاقي لدى المتلقي.

1.4 التحليل الدلالي والبلاغي لأوصاف العذاب بحسب الحقول الثمانية

1.1.4 حقل الشدّة: (عذابٌ أليم/شديد/عظيم/غليظ)

تتصدّر نعوتُ الشدّة– وفي طليعتها ألفاظ: (أليم/شديد/عظيم/غليظ) المشهدَ الوعيدي في الخطاب القرآني، وقد بلغت نسبتها (37%)؛ لتشكّل رافعة بلاغيّة تُكثِّف الإحساس بالخطر الأخلاقي. ويمكن تفسير هذا الارتفاع في النبرة على أنه تجلٍّ للعدل الإلهي، المسبوق بإنذارٍ بياني واضح؛ إذ إنَّ الشدة لا تأتي اعتباطاً، بل تنبع من تناسبٍ دقيقٍ بين حجم العتوّ ونوع المخالفة، فالصد عن سبيل الله، والمكر بأهل الإيمان والتهديد بتهجيرهم من أوطانهم مرورا بقتل أنبيائهم ومصلحيهم كلها أفعال تستوجب شدَّة في العقوبة، وبهذا تنصرف وظيفة الوصف من مجرّد تهويل إلى ردعٍ عقلاني، يربط العلّة بالمآل، ويعُزّز من البعد التربوي للعذاب في التصور القرآني (قطب، 2003). ويُلاحظ أن هذا الحقل الدلالي، قد وظّف صيغا صرفية متعددة، أبرزها: الصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وكل منهما يشي بدلالة خاصة؛ فالصفة المشبهة تُفيد لزوم العذاب وثبوته، وصيغ المبالغة تُشير إلى شدّته وتكراره (شحاته، 2020)، مما يُعمّق الأثر النفسي في المتلقي. وفيما يأتي نماذج تمثيلية على ذلك:

1. قال تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [البقرة 10]

في السياق التفسيري لهذه الآية يذكر الطبري أن العذاب الأليم هو "الموجع"، ويربطه مباشرةً بعلة الكذب، مما يوضح أن جزاء الألم المعنوي –الكذب على الله ورسوله– يقابله ألم حسي موجع (الطبري، 2000)، وفي النظر إلى الدلالات البلاغيَّة في هذه الآية، نجد تَقدُّمَ الجار والمجرور ﴿ لَهُمۡ ﴾ على ﴿ عَذَابٌ أَلِيمُۢ ﴾ للاختصاص؛ أي أن هذا العذاب مُخصصٌ لهؤلاء المنافقين. إن هذا الربط المباشر يؤكد مبدأ التناسب بين الفعل والجزاء.

2. قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج 12] مقترنة بقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الحَرِيق ﴾ [البروج 10]

إن المتدبر لهذه الآية، يجدُها موجزة إلا أنَّ فيها حشدا بلاغياً هائلاً في اختصار حقيقة العقاب الإلهي وتوكيده؛ إذ بدأت بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المشددة، ثمَّ جاءت اللام المزحلقة لتأكيد ذاك المصير الشديد، وجاءت كلمة ﴿ رَبِّكَ ﴾ معرّفة بالإضافة؛ للتسلية على النبي وتأنياساً له، عليه السلام، وتشريفا؛ فالعذاب سيقع عليهم من الله القوي ناصر عبده النبي. ويُعلِّق الإمام الزمخشري على تفسير كلمة "البطش" بأنه "الأخذ بالعنف"، فإذا وصفه بالشدة فقد تضاعف وتفاقم (الزمخشري، 1407هـ). واقتران الشدة هنا بـ "عذاب الحريق" يجسد قوة الأخذ الإلهي في صورة حسية مرعبة، مما يجعل الردع أبلغ وأقوى أثرًا في النفس.

3. قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 176].

يشير الألوسي إلى أن "العظيم" هنا يأتي في سياق الحديث عن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ولن يضروا الله شيئًا. فعظمة العذاب تقابل عظمة الجُرم المتمثل في استبدال أعظم نعمة وهي الإيمان بأعظم نقيصة وهي الكفر، مما يرسخ عدالة الجزاء الإلهي (الألوسي، 1415هـ).

إن توظيف نعوت الشدة للعذاب ووصفها بـ (أليم، شديد، عظيم، غليظ)، في داخل السياق المقالي، ليس مجرد ترهيب، بل هو أداة بلاغية تربوية دقيقة تربط درجة العقوبة بنوع الذنب وخطورته، مما يحقق وظيفة الردع العقلاني القائم على فهم عواقب الأفعال؛ لأنَّ "كل واحد من المعاني المتعددة للكلمة المفردة يظل محتملًا للقصد حتى ترد الكلمة في سياق فيكون لها معنًى واحد فقط". (عمر، 2006)

2.1.4 حقل التهويل (عذاب الله/ العذاب/ يعذب)

تختلف تعابير التحذير من الوقوع في الخطر باختلاف المحذِّر، وبحسب طبيعة المحذَّر منه؛ فكلما عظم مصدر التحذير، واشتدّ خطر المآل، ازداد وقع التحذير في النفس. وأيّ تحذيرٍ أبلغ من ذلك الذي يُنذر من مجرد الاقتراب من نار جهنم، أو الوقوع في أتونها؟ وقد وظّف الأسلوب القرآني هذا النوع من العذاب توظيفًا تربويًّا دقيقًا، ليكون رادعًا للنفس قبل إقدامها على مخالفة أوامر الله تعالى؛ فمجرّد ورود خبر أن العذاب صادر من الله، يُحدث هزّات وجدانية عميقة، ويُثير سؤالًا وجوديًّا رهيبًا: من يقدر على عذاب الله؟

وقد بلغ هذا الحقل الدلالي نسبة (33%) من مجموع الشواهد، محتلاً المرتبة الثانية، وهو ما يدلّ على مركزية هذا البعد في التصور القرآني للعقوبة.

وقد سُبك التعبير عن هذا الحقل بأساليب لغوية متنوّعة، أبرزها:

أ. الإضافة إلى معرفة: مثل: "عذاب الآخرة، عذاب ربك، عذابه، عذابي"، وهي إضافات تُفيد التعريف، وتُضفي على العذاب طابعًا تهويليًّا؛ إذ تُشير إلى عذاب صادر عن الذات الإلهية، التي لا يمكن للنفس البشرية أن تُدرك مداه، وفي الوقت نفسه، فيه تسلية لرسول الله، بنصر الله له.

ب. التعريف بـ"أل": كما في "العذاب"، وهو تعريف يُحيل إلى نوع معلوم من العذاب، يحمل أقسى صور الشدة، ويُخرج المعنى من العموم إلى التعيين.

ج. الفعل المضارع: مثل: "يُعذّب، يُعذّبهم"، وهي صيغ تُفيد الاستمرار والديمومة، وتُعمّق الإحساس بالخطر النفسي المتجدّد.

وفيما يأتي نماذج تمثيلية على هذا الحقل الدلالي، تُظهر كيف يُبنى الأثر النفسي عبر التركيب اللغوي والسبك البلاغي:

1. قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور: 7]

يُفسَّر الأسلوب البلاغي في هذه الآية مع ما سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ووظف اسم الفاعل "واقع"، الذي يعني نزول من علوٍ؛ لإثبات وقوع العذاب واستمراره، وفي ذلك يقول ابن عاشور:

وَتَضَمَّنَ قَوْلُهُ: إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ إِثْبَاتَ الْبَعْثِ بَعْدَ كَوْنِ الْكَلَامِ وَعِيدًا لَهُم على إِنْكَار الْبَعْث وإنكارهم أَنْ يَكُونُوا مُعَذَّبِينَ. (ابن عاشور، 1984)

إن السياق المقامي لكلمة "لواقع" في هذه الآية ليست مجرد إخبار بوقوع العذاب، بل هي تصوير بلاغي لحتميته وثبوته، مع توكيد يقطع الشك، وإيقاع لفظي يثير الرهبة في النفوس. وفي إضافةِ العذاب لقوله: "رَبِّكَ" لَطِيفَةٌ، فلم يوظف لفظ الجلالة (الله)؛ لأنه اسمٌ مُنْبِئٌ عن العظمة والهيبة، كان يخاف المؤمِنُ، بل النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، من أَن يَلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيًا عن العالم بأَسره، فضلًا عن واحدٍ فيه فَآمنه بقوله: (ربك) فإنه حين يسمعُ لفظَ الرَّبّ يأمن (الرازي، 1420هـ).

ويعلق الزمخشري، رحمه الله على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: 103] (الزمخشري، 1407هـ) قائلا: وما هو إلا أنموذج مما أعدّ لهم في الآخرة، فإذا رأى عِظَمَه وشدّته اعتبر به عظم العذاب الموعود، فيكون له عبرة وعظة ولطفاً في زيادة التقوى والخشية من الله تعالى.

2. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: 55]

نحن أمام مشهد مفزع في ذاته، يصاحبه التقريع المخزي والتأنيب المرير، فهذه نهاية الاستعجال بالعذاب والاستخفاف بالنذير (قطب، 2003). ويدع الجاحدين

المكذبين المستهترين في مشهد العذاب يغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فاللام في العذاب، إشارة إلى عذاب يوم عظيم (الزمخشري، 1407هـ). و ﴿ يَغۡشَىٰهُمُ ﴾ ؛ أي يُغطيهم، فوظّف الاستعارة المكنية؛ إذ شَبّه العذاب بغطاء كثيف أو لباس يحيط بأجسادهم من كل جانب، بحيث لا يترك ثغرة، ويوحي هذا الاستغراق، باستغراق العذاب جميع أجزاء أبدانهم، فلا ينفس عنهم من جهة دون جهة. ويبدو أن ذكر الأرجل هنا جاء للدلالة على أنهم لا يقرون ولا يجلسون، وذلك أشد العذاب

3. قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ [الأنفال: 34]

تستفتح الآية باستفهام إنكاري، قال القرطبي: "وما يمنعهم من أَن يُعذَّبوا؛ أَي إِنَّهم مستحقُّون العذاب؛ لما ارتَكبوا من القبائح والأَسباب، ولكن لكلِّ أَجل كتاب" (القرطبي، 1964).

وبهذا يتبيّن أن تعريف لفظ "العذاب" – سواء بالإضافة أو بـ "أل" – لا يأتي عبثًا، بل يُوظَّف في المقام الأول لإيقاظ النفس من غفلتها، وتنبيهها إلى خطورة الزلل والخطأ، قبل أن تقع فيما يستوجب العقوبة الإلهية، فالتعريف هنا لا يُراد به مجرد التهويل، بل يُراد به التحذير العقلاني، الذي يُربط فيه الجزاء بالفعل، ويُستنهض فيه الوجدان ليُدرك أن العذاب المعرّف هو جزاء معلوم، صادر عن الله جلّ في علاه، لا تطيقه النفس، ولا تقدر على احتماله.

ومن ثمّ، فإن هذا الأسلوب يُسهم في بناء التصور التربوي للعقوبة، ويُحوّل الخطاب من وعيد مجرد إلى ردعٍ نفسيٍّ عميق، يُعيد للنفس توازنها قبل أن تُقدم على المعصية.

3.1.4 حقل التجسيد الناري (عذاب النار/الجحيم/السعير/الحريق)

4.1.4 حقل الإذلال: (عذاب مهين/الهون)

5.1.4 حقل التضعيف وتجلّيات الخبرة الحسيّة (ضعفًا/ضعفين، ذوق/يمس/سوط عذاب)

6.1.4 حقل الدوام (عذاب مقيم/الخلد/واصب)

يُحكِم القرآن الكريم بناء معنى دوام العذاب عبر ألفاظٍ تُغلق منافذ التوهّم بإمكان الانقطاع؛ فهو لا يكتفي بإثبات استمرار الألم، بل يُثْبت معه استمرار سببه وانتفاء ما يقطعه؛ فلا خروج، ولا موت يريح، ولا انتقالٍ يخفّف. ومن ثمّ تأتي ألفاظ مثل: مقيم، الخلد، واصب؛ لتؤدي وظيفة مركّبة وهي: تثبيت زمن الجزاء، وإقفال أمل الانفكاك بعد انتهاء زمن الابتلاء، بما يجعل الخطاب القرآني شديد الأثر في تشكيل القرار الأخلاقي في الدنيا؛ لأن الآخرة –في منطق القرآن– دار قرار لا دار اختبار. كما أنه يُعظّم خطورة الجرائم التي تستوجب هذا النوع من العذاب، كالكفر والشرك. ويُعطي هذا التأكيد قدرة في دفع الإنسان إلى اتخاذ قرارات مصيرية لا رجعة فيها خلال حياته الدنيا، تُبنى على الوعي بعاقبة الأفعال، لا على التسويف أو الغفلة.

وقد بلغ هذا الحقل الدلالي نسبة (4%) من مجموع الشواهد، وهي نسبة تُناسب طبيعة الذنوب التي يُعاقب أصحابها بعذاب دائم.

وفيما يأتي نماذج تمثيلية تُجلي هذا الحقل، وتُظهر كيف يُبنى الأثر النفسي والبلاغي عبر التركيب القرآني المحكم.

ومن شواهد هذا الحقل الدالة عليه:

1. قال تعالى:
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ [المائدة: 37]

يشي النظم في هذه الآية عن الحالة النفسية السيئة التي يعيشها أصحاب النار، ويقدّم مشهدًا نفسيًّا بالغ الدقة: إرادة الخروج بوصفها أقصى ما يتعلق به المعذَّب، فهم يريدون الخروج منها إرادة حقيقية، ويكررون محاولاتهم البائسة، وتشبثهم بأوهام الخلاص،

ولكنَّ خيبة الأمل تلبسهم، بنفي قاطع ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ﴾ وجاء نفي خروجهم مؤكدا مصدَّرًا بجملة اسمية "ما" الحجازية ومعها الباء مع اسم الفاعل: {بِخَارِجِينَ} الذي يدل على الثبات والدوام، أي أن صفة "الخروج" منتفية عنهم نفياً قطعياً أبدياً.

ويوضح الطبري أن "مقيم" تعني "دائم ثابت لا يزول ولا يحول"، مؤكدًا على استحالة الخروج من النار لمن حُكم عليه بذلك (الطبري، 2000)، وهو تفسير يلتئم مع البنية كلها: إرادة تتجدد، يقابلها نفي يتأكد، ثم ختمٌ بصفة الدوام.

ويزداد المعنى رسوخًا عند مقارنة النسق القرآني بالنص النبوي الذي يحسم فكرة الانقطاع أصلًا؛ فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذبح الموت بين الجنة والنار، ثم يُقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» (البخاري، 1987)، فيغدو "الخلود" هنا خبرًا نهائيًا ينهي كل تصورٍ لراحةٍ تنتهي بالموت أو انقطاعٍ يفتح بابًا للخلاص، وهذا الحديث يبرز المعنى من زاويتين: الأولى: أنه يقرر انعدام الموت كأقوى قاطع لانتهاء العذاب، والثانية: يجعل الخلود إعلانا كونيا يسمعه الجميع بلا استثناء، لا مجرد معنى لغوي.

2.قال تعالى: ﴿ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: 69]، ورد هذا الوصف بعد ذكر مضاعفة العذاب. وهنا يربط الرازي الخلود في العذاب بالإهانة، مشيرًا إلى أنه ليس فقط دائمٌ؛ بل ومصحوب بالذل المستمر (الرازي، 1420هـ)، فالعذاب لا يُعبّر عنه القرآن كألمٍ ممتدٍّ فقط، بل كوجودٍ ممتدٍّ من الانكسار والمهانة، وهذه الصياغة تُنتج أثرًا مركّبًا: فالديمومة تُضاعف الألم، ودوام الإهانة يُضاعف الحسرة؛ لأن الإنسان لا يُعذَّب في جسده وحده، بل في تصوره عن نفسه أيضًا.

3 .قال تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾ [الصافات: 9].

تميّز لفظ «واصب» بأنه أقل تداولًا من «مقيم» و«خالد»، لكنه يُكسب الحقل الدلالي إضافات متعددة، فالزمخشري يفسر كلمة "واصب" بمعنى الدائم الذي لا ينقطع (الزمخشري، 1407هـ)، أما الطبري فذكر أنَّ من معانيه "الموجع" (الطبري، 2000)، وهو ما يفتح بابًا دلاليًّا مهمًا وهو أن "الوصب" في العربية يُشعر بلزوم الألم ودوامه، فيتمازج معنى الزمن "الاستمرار" مع معنى الإحساس "الألم الملازم".

فيجتمع من مجموع ألفاظ ما سبق من الألفاظ أن القرآن الكريم يبني معنى الدوام على ثلاثة أقفال تمنع عنه الانفكاك أو الخلاص وهي: قفل المكان ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ ﴾ وقفل الزمن "مقيم، خالد، واصب. وقفل السبب القاطع والمقصود نفي الموت، وهو ما صرح به الحديث الصحيح: «خلود فلا موت».

إن صفة الدوام والاستمرارية في العذاب الأخروي لا تُقدَّم بوصفها مجرد توصيف زمني، بل تُوظَّف بوصفها آلية تربوية دقيقة، تُعظّم من خطورة الجرائم الكبرى، وتُؤكّد نهائية المصير في الآخرة، حيث لا مجال للمراجعة أو التخفيف. ويُسهم هذا التصوير في دفع الإنسان إلى حسم خياراته المصيرية في الحياة الدنيا، بعيدًا عن التسويف والغفلة، بما يُنجيه من هذا المآل المحتوم، ويُرسّخ في وجدانه أن القرار الأخروي لا يُبنى إلا على عدالة إلهية مطلقة، تُناسب حجم الجناية، وتُجسّد تمام الحكمة والعدل.

7.1.4 حقل الزمن/الحتمية: (عذابُ يومٍ عظيم/أليم/عقيم/محيط، واقع/قريب/غير مردود)

لطالما أكثر الكفار والمشركون من إنكار الآخرة، أو التشكيك في وجود العذاب فيها، أو الزعم بأن مدّته الزمنية ستكون قصيرة لا تُذكر؛ فجاء الخطاب القرآني ليُفنّد هذه المزاعم، ويُؤكّد على خلود العذاب واستمراريته، بوصفه جزاءً نهائيًّا لا يُردّ ولا يُخفّف.

وقد وظّف القرآن الكريم هذا البُعد الزمني توظيفًا بلاغيًّا وتربويًّا دقيقًا، من خلال صيغ تعبيريّة مثل: "عذاب يوم عظيم/أليم/عقيم/محيط"، وهي تعابير تُضفي على

العذاب طابعًا زمنيًّا ثقيلًا، يُشعر المتلقي بطول المكوث واستحالة النجاة. كما أكّد وقوع العذاب بألفاظ مثل: "واقع/قريب/غير مردود". وهي صيغ تُجسّد الحسم الإلهي، وتُقطع الطريق على كل تردّد أو إنكار.

وقد بلغ هذا الحقل الدلالي نسبة (4%) من مجموع الشواهد، وهي نسبة تُناسب طبيعة الفئة المستهدفة، ممن يُنكرون البعث أو يُهوّنون من شأن العذاب الأخروي، فجاء الردّ القرآني ليُثبّت اليقين، ويُعيد تشكيل الوعي الإيماني.

ومن الأمثلة التطبيقية على هذا الحقل:

1. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: 15].

يوضح ابن عاشور أن وصف اليوم بـ "العظيم" يعود إلى عظم الأهوال التي تحدث فيه، وعظم الجزاء الذي يقع (ابن عاشور، 1984). إن هذا الوصف الزمني يضفي على العذاب بعدًا مهيبًا، ويجعل الإنسان يتصور حجم الكارثة التي تنتظره إذا عصى ربه، إذ تُسند الآية صفة العِظَم إلى اليوم بما فيه من أهوال، فيتحوّل اليومُ إلى وعاءٍ معنويٍّ للكارثة لا مجرّد تاريخٍ على التقويم، ويعضد هذا المعنى ما قرّره القرآن في مواضع أخرى من تقريب الأجل وكشف وَهم الاستبعاد ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ٧ ﴾ [المعارج: 6–7]، حيث يَظهر الفرق بين قرب الوقوع في ميزان الوحي، وبين بُعد التوهُّم في ميزان المكذِّب. وقد نبّه سيد قطب إلى أنّ المقصود تقويضُ استبعادهم وإثباتُ أنّ ما يُكذَّب به اليوم كائنٌ لا محالة (قطب، 2003).

2. قال تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج: 1].

جاء اسم الفاعل "سائل" نكرةً ولم يقل "سأل سائل ربه"، بل ترك الفعل مطلقاً ليركز الانتباه على "الفعل الشنيع "وهو استعجال العذاب. فوظيفة اسم الفاعل "سائل"

في هذا المقام، بمنزلة المبني للمجهول كما قال ابن عاشور: لأن مجيء فاعل الفعل اسم فاعل من لفظ فعله لا يفيد زيادة علم بفاعل الفعل ما هو، فالعدول عن أن يقول: سئل بعذاب إلى قوله سأل سائل بعذاب، لزيادة تصوير هذا السؤال العجيب. (ابن عاشور، 1984). وقال قتادة في قوله: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) قال: سأل عذاب الله أقوام. (الطبري، 2000)، ويزداد هذا المعنى وضوحا حين يصف القرآن العذابَ بكونه واقعا، فهي صيغة تحقق تقطع التردد: العذاب واقع على الكافرين لا دافع له قال القرطبي "واقع" أي: "كائن لا محالة" (القرطبي، 1964)، مؤكدًا على حتمية وقوع العذاب لمن يستحقه. ويُساند هذا الحسمَ معنى قوله تعالى "غير مردود" في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: 76]؛ إذ فسّره الطبري بأنه عذابٌ غيرُ مدفوع، فيتحول الوعيد من "إمكان" إلى "حتميّة" تُغلق باب الاعتذار بعد استنفاد الإنذار، من جانب آخر لا يقتصر هذا القسم من وصف العذاب على تثبيت الوقوع فقط؛ بل يضيف إليه ضغط إحاطة العذاب، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [هود: 84]، فقرر القرطبي أن وصف اليوم بالإحاطة يُراد به الإحاطة بهم؛ فإذا أحاط بهم اليوم أحاط بهم العذاب نفسه، بما ينتج شعورًا نفسيًّا بأن الهلاك لا يترك نافذة نجاة (القرطبي، 1964) .

3. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾ الحج [55]

يرى الألوسي أن الوصف بـ "يوم عقيم" لأنهم لا يرون فيه خيرا، أو لا خير فيه، أو لا مثل له في الشدة (الألوسي، 1415هـ). هذا الوصف الزمني الفريد يشد الانتباه إلى طبيعة هذا اليوم الذي لا رجعة فيه ولا فرار منه، مما يعمق الشعور بالخطر ويحث على الحذر.

إنَّ هذا التركيز على الزمن وحتميته يهدف إلى إزالة أي شك أو تردد في وقوع الجزاء، ويحث الإنسان على المبادرة بالتوبة والعمل الصالح قبل فوات الأوان. ومن ناحية

تربوية، فإن هذا المطلب يساعد على غرس الشعور بالمسؤولية الفورية، وبيان أن العدالة الإلهية ليست مؤجلة إلى أجل غير مسمى، بل هي قادمة لا محالة.

وتساند السنةُ النبوية هذا البناء القرآني في محورين؛ قرب الآخرة من حيث الوقوع، وحسم المصير بعد القضاء .فقد قرن النبي ﷺ بين بعثته والساعة إشارةً إلى قربها بقوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (البخاري، 1987) وهو تصويرٌ يختصر مسافة التسويف في لقطةٍ واحدة: بين إصبعين لا بين سنوات أو قرون (القسطلاني، 1323 هـ)، ثم تأتي أحاديثُ الحسم النهائي لتغلق باب التخفيف المتوهَّم :يا أهل الجنةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موت، وهو نصٌّ يلتقي مع وظيفة ألفاظ: غير مردود/مقيم/خلد في تثبيت نهائيّة المصير بعد فصل القضاء.

وخلاصةُ هذا المطلب أنّ القرآن لا يذكر الزمن والحتميّة بوصفهما معلوماتٍ تجريدية، بل بوصفهما أدوات تربيةٍ على الاستعجال إلى النجاة، ويُثبت أن العذاب واقعٌ لا دافع له، وأنه قد يجيء قريبًا في الدنيا أو يبدأ بالساعة بغتة. ومن ثم فالمقصود النهائيّ: ترسيخُ شعور المسؤولية الفورية، وأن قرار الآخرة يُصنع الآن... لا بعد أن تُغلَق أبواب الآن.

8.1.4 أوصاف أخرى للعذاب

يظهر تتبّع مواضع العذاب في القرآن الكريم تنوّعًا دلاليًا لافتًا في سياقات وروده؛ إذ ارتبطت بعض المطالب بالعذاب التاريخي والسياسي، كما في قصّة فرعون الذي استَخدم العذاب أداةً لقهر قومه وتخويفًا للسحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام، وقد ورد هذا الوصف أربع مرات. وفي موضع واحد ورد التوعّد بالعذاب على لسان سليمان عليه السلام تجاه الهدهد المتخلّف عن حضور اجتماع الجند، وهو مثال رمزي على الانضباط في نظام دولة نبي الله سليمان عليه السلام، كما وردت فكرة العذاب مرتين على لسان ذي القرنين، حين عالج مسألة القوم الذين لقيهم في أقصى المغرب، ليكون العذاب هنا

أداةً عدلية لتقويم السلوك الجمعي. أما في الجانب الوجداني، فقد ورد ذكر العذاب على لسان أيوب عليه السلام مرةً واحدة، حين شكا إلى ربّه ما أصابه من مسّ الشيطان بالعذاب، ليجسّد صورة المعاناة الفردية. وإلى جانب ذلك، ورد مفهوم العذاب مرتين في سياق الحدود الشرعية المقرّرة على الزناة، حيث اقترن العذاب بالعقوبة المعيارية التي تضبط السلوك الاجتماعي. هذا التوزيع الدلالي يكشف أن "مطالب العذاب" في القرآن لا تنحصر في العقوبة الأخروية، بل تمتد إلى ميادين متنوّعة: سياسية، اجتماعية، فردية، وتربوية، مما يعزّز البعد الشمولي للمفهوم القرآني للعقوبة.

2.4 المناقشة التركيبية للوظائف البلاغية والتربوية لأوصاف العذاب

يكشف تحليل الحقول الدلالية لأوصاف العذاب في القرآن الكريم أن هذه الأوصاف لا تَرِدُ متفرقةً أو عارضة، بل تنتظم في بناءٍ قرآني متكامل يُصوّر العذاب من جهات متعددة: شدته، ومصدره، وصورته الحسية، وأثره النفسي، ودوامه، وحتميته. وبذلك تتحول أوصاف العذاب من مجرد ألفاظ وعيد إلى منظومة بيانية وتربوية تُخاطب عقل الإنسان ووجدانه وإرادته في آنٍ واحد.

فحقل الشدة، بما يتضمنه من أوصاف مثل :أليم، شديد، عظيم، غليظ، يؤسس لإدراك خطورة الجزاء، ويكسر وهم الاستهانة بالذنب. أما حقل التهويل، من خلال تراكيب مثل :عذاب الله، عذاب ربك، العذاب، فيربط العقوبة بعظمة مصدرها، فينتقل الوعي من الخوف من الألم إلى الخشية من الوقوف بين يدي العدل الإلهي. وحين ينتقل الخطاب إلى حقل التجسيد الناري، مثل :النار، الجحيم، السعير، الحريق، فإنه يجعل العذاب مشهدًا محسوسًا لا معنى مجردًا، فيقرّب الغيب إلى وجدان المتلقي.

ولا يقتصر التصوير القرآني للعذاب على الألم الحسي، بل يضيف إليه بعدًا نفسيًا وأخلاقيًا من خلال أوصاف الإذلال والهوان، مثل :عذاب مهين وعذاب الهون؛ إذ يُقابل الاستكبار والكفر والتكذيب بمآلٍ يَسلب صاحبه ما توهّمه من عزة زائفة. وهنا

تظهر دقة المناسبة بين الذنب والجزاء؛ فالعقوبة ليست انتقامًا مجردًا، بل كشفٌ عادل لحقيقة الفعل ومآله.

أما حقل التضعيف والخبرة الحسية، فيُبرز أن الجزاء يتفاوت بتفاوت المسؤولية والأثر؛ فمن أضلّ غيره أو وسّع دائرة الفساد لم يكن جزاؤه كجزاء من اقتصر ذنبه على نفسه. كما أن ألفاظًا مثل :ذوقوا، يمسّهم، سوط عذاب تنقل العذاب من مستوى الخبر إلى مستوى التجربة المباشرة، فتجعل الوعيد حاضرًا في الحسّ والخيال، لا بعيدًا في الذهن.

ويأتي حقل الدوام، من خلال أوصاف مثل :مقيم، خالد، واصب، ليغلق باب التوهم بانقطاع العذاب، ويقرر أن الآخرة دار قرار لا دار اختبار. ثم يُكمل حقل الزمن والحتمية هذه الصورة بألفاظ مثل :واقع، قريب، غير مردود، عذاب يوم عظيم، فينزع من النفس وهم التأجيل والتسويف، ويؤكد أن الجزاء قادم لا محالة بعد قيام الحجة وانتهاء زمن التدارك.

ومن ثمّ، فإن الوظيفة البلاغية لهذه الأوصاف تقوم على تحويل العذاب من خبرٍ يُتلى إلى حقيقةٍ تُستحضر؛ وذلك عبر دقة النعت، وقوة الإضافة، وأثر التعريف، وحيوية الفعل، ودلالة الدوام والحتمية. أما وظيفتها التربوية فتتمثل في بناء الضمير الإنساني على أربعة معانٍ كبرى: المسؤولية، والعاقبة، والعدل، والتوبة؛ فكل وصف من أوصاف العذاب يربط الفعل بمآله، ويُشعر الإنسان بأن الذنب لا ينتهي عند لحظة ارتكابه، بل يمتد أثره إلى المصير.

وعليه، فإن أوصاف العذاب في القرآن الكريم لا تُنتج خطاب يأس، بل خطاب إيقاظ وإنذار ورحمة؛ إذ إن التخويف القرآني لا يقصد شلّ الإنسان، وإنما تحريره من الغفلة، وردّه إلى وعيه الأخلاقي قبل حلول الجزاء. وبذلك تتكامل البلاغة والتربية في هذه الأوصاف؛ فاللفظ البليغ يوقظ، والصورة البيانية تردع، والتصوير الحسي يقرّب الغيب، والوعيد يفتح باب الرجوع قبل أن يُغلق زمن الاختيار.

وخلاصة ذلك أن الحقول الدلالية لأوصاف العذاب تُشكّل صورة قرآنية متكاملة للعقوبة، تُبرز عدالة الجزاء، وتكشف سننية العلاقة بين الذنب والمآل، وتؤكد أن رحمة الله اقتضت الإنذار قبل العقوبة، والبيان قبل الحساب، حتى يبقى الإنسان مسؤولًا عن اختياره، مدركًا أن طريق النجاة يبدأ من يقظة الضمير قبل فوات الأوان.

5. الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن أوصاف العذاب في القرآن الكريم تُشكّل نظامًا دلاليًّا وبلاغيًّا متكاملًا، لا يقتصر على تقرير الألم أو التهديد، بل يؤدي وظيفة تربوية واعية تستند إلى إقامة العدل الإلهي، وربط الذنب بمآله، وإيقاظ الضمير الإنساني. وقد بيّن الحصر الشامل لمواضع الجذر (ع–ذ–ب) أن الحقول الأكثر حضورًا هي الشدة والتهويل، وهو ما يفسر تركيز الخطاب القرآني على بناء الأثر الوجداني والردع الأخلاقي، مع بقاء الحقول الأخرى — كالتجسيد الناري والإذلال والدوام والحتمية — عناصر مكمِّلة للصورة العامة للعقوبة.

كما أظهرت الدراسة أن قيمة هذا الخطاب لا تنفصل عن سياقاته؛ إذ تعمل الأوصاف داخل بنية النص القرآني بوصفها أدواتٍ لتقرير المسؤولية، وتحفيز الرجوع، وتقويض الغرور، وترسيخ أن الجزاء ليس حدثًا اعتباطيًّا، بل هو مظهر من مظاهر الحكمة والسننية. وبذلك تسهم الدراسة في نقل النقاش حول أوصاف العذاب من القراءة الجزئية التي تقف عند ظاهر التخويف إلى قراءة أكثر تركيبًا ترى في الوعيد القرآني خطابًا للهداية والتقويم معًا.

6. التوصيات

– توصي الدراسة باستثمار النموذج التصنيفي الذي اعتمدته في تحليل أوصاف العذاب ضمن الحقول الدلالية الثمانية، وتطبيقه على ألفاظ الوعيد غير الداخلة في جذر (ع–ذ–ب)، مثل: النكال، والخزي، والعقاب، والسعير، والجحيم، والنار؛ وذلك لبناء خريطة

دلالية أوسع لمفهوم الجزاء في القرآن الكريم، تجمع بين الحصر الاستقرائي، والتحليل السياقي، والوظيفة البلاغية والتربوية.

– توصي الدراسة بتوجيه البحوث البلاغية في القرآن الكريم إلى تجاوز الرصد الشكلي للصيغ والأساليب، نحو الكشف عن أثر النظم القرآني في بناء الوعي الأخلاقي؛ إذ أظهرت نتائج البحث أن الصيغ النعتية، والإضافية، والزمنية، وصيغ الدوام والحتمية لا تؤدي وظيفة بيانية فحسب، بل تسهم في ترسيخ المسؤولية، وإيقاظ الضمير، وربط الفعل الإنساني بمآله الأخروي.

– توصي الدراسة ببناء قاعدة بيانات أو معجم رقمي موضوعي لألفاظ الجزاء القرآني، يُصنِّف الألفاظ بحسب جذورها، وصيغها، وسياقاتها، وحقولها الدلالية، ووظائفها البلاغية والتربوية. ويساعد هذا المشروع على تحويل نتائج الدراسات الاستقرائية من نتائج جزئية متفرقة إلى أداة بحثية قابلة للتطوير، تخدم التفسير الموضوعي، والبلاغة القرآنية، والدراسات القرآنية الرقمية.

المصادر والمراجع

REFERENCES

Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ashʿath. (1973). *Sunan Abī Dāwūd*. Beirut: Al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.

Al-Ālūsī, Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh. (1415 AH). *Rūḥ al-Maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa al-Sabʿ al-Mathānī* [The Spirit of Meanings]. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʿūd. (1409 AH). *Maʿālim al-Tanzīl* [Tafsīr al-Baghawī]. Riyadh: Dār Ṭayyibah.

Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl. (1987). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Beirut: Dār Ibn Kathīr.

Al-Hāshimī, Aḥmad. (2017). *Jawāhir al-balāghah: fī al-maʿānī wa al-bayān wa al-badīʿ* [Gems of Rhetoric]. United Kingdom: Hindawi Foundation.

Al-Qasṭallānī, Aḥmad ibn Muḥammad. (1323 AH). *Irshād al-sārī li sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Cairo: Al-Maṭbaʿah al-Kubrā al-Amīriyyah.

Al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. (1964). *Al-Jāmiʿ li aḥkām al-Qurʾān*. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Rāghib al-Iṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. (1412 AH). *Al-Mufradāt fī gharīb al-Qurʾān* [Lexicon of Qur'anic Vocabulary]. Damascus: Dār al-Qalam.

Al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar. (1420 AH). *Mafātīḥ al-Ghayb [Keys to the Unseen]*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf. (2008). *Al-Durr al-Maṣūn fī ʿulūm al-kitāb al-maknūn*. Damascus: Dār al-Qalam.

Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (2000). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān* (Vol. 12). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.

Al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-Sarrī. (1988). *Maʿānī al-Qurʾān wa iʿrābuh* (Vol. 2 of 5). Beirut: ʿĀlam al-Kutub.

Al-Zamakhsharī, Muḥammad ibn ʿUmar. (1407 AH). *Al-Kashshāf ʿan ḥaqāʾiq ghawāmiḍ al-tanzīl*. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

Ḥassān, Tammām. (2006). *Al-Lughah al-ʿArabiyyah: maʿnāhā wa mabnāhā* [Arabic Language: Meaning and Structure]. Beirut: ʿĀlam al-Kutub.

Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭāhir ibn Muḥammad. (1984). *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* [Liberation and Enlightenment]. Tunis: Al-Dār al-Tūnisiyyah li al-Nashr.

Mehfooz, M., et al. (2020). *A conceptual study of metaphorical illustration applied for Hellfire in Qur'anic text. Journal of Islamic & Religious Studies*, 5(1), 45–64. https://doi.org/10.36476/JIRS.5:1.06.2020.15

Muslim ibn al-Ḥajjāj. (1916). *Ṣaḥīḥ Muslim*. Beirut: Dār al-Jīl.

Quṭb, Sayyid. (2003). *Fī Ẓilāl al-Qurʾān [In the Shade of the Qur'an]*. Cairo: Dār al-Shurūq.

Riḍā, Muḥammad Rashīd ibn ʿAlī. (1990). *Tafsīr al-Manār*. Cairo: Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li al-Kitāb.

Sālim, Intiṣār Maḥmūd Ḥasan. (2024). *Precision of Qur'anic contextual variation in verses describing punishment and its rhetorical secrets*. Ḥawliyyat Kulliyyat al-Lughah al-ʿArabiyyah bi-Jirjā, (2), 2258–2314.

Shaḥātah, Ḥusayn Khamīs Maḥmūd. (2020). *Morphological patterns indicating intensification outside standard forms. Journal of Arts and Humanities*, 90(1), 29–71.

Yasrebi, M., et al. (2024). *Acceptance of repentance in the Qur'an: A systems thinking perspective. Islam Today Journal*, 1–12.